مبادئ علم مصطلح الحديث

المقدمة:

كان الصحابة رضوان الله عليهم يتلقون الحديث مباشرة من الرسول صلى الله عليه و سلم، و نقلوه إلى من بعدهم مباشرة، و كان التدوين قليل.

و لم يكن هناك كذب على النبي صلى الله عليه و سلم لهذا ما كان أحد يسأل عن صدق الحديث من عدمه، فلما حدثت الفتنة بدأ يفشو الكذب، و أخذ كل فريق يعضد موقفه بالسند الشرعي، لهذا بدأ التثبت في الحديث.

عن ابن سيرين: "قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم".

وبناء على أن الخبر لا يُقبَل إلا بعد معرفة سنده، فقد ظهر علم الجرح والتعديل، والكلام على الرواة، ومعرفة المتصل أو المنقطع من الأسانيد، ومعرفة العلل الخفية، وظهر الكلام في بعض الرواة، لكن على قلة، لقلة الرواة المجروحين في أول الأمر.

ثم توسع العلماء في ذلك، حتى ظهر البحث في علوم كثيرة تتعلق بالحديث من ناحية ضبطه وكيفية تحمله وأدائه، ومعرفة ناسخه من منسوخه، وغريبه، وغير ذلك، إلا أن ذلك كان يتناقله العلماء شفويا.

ثم تطور الأمر، وصارت هذه العلوم تكتب وتسجل، لكن في أمكنة متفرقة من الكتب ممزوجة بغيرها من العلوم الأخرى، كعلم الأصول، وعلم الفقه، وعلم الحديث. مثل كتاب "الرسالة" وكتاب "الأم" كلاهما للإمام الشافعي.

وأخيرا لما نضجت العلوم، واستقر الاصطلاح، واستقل كل فن عن غيره، وذلك في القرن الرابع الهجري، وأفرد العلماء علم المصطلح في كتاب مستقل.

تعريفات:

1- علم المصطلح:

هو علم بأصول وقواعد، يعرف بها أحوال السند والمتن.

2- الحديث:

أ- لغةً: الجديد.

ب- اصطلاحا: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة.

3- الخبر:

أ- لغة: النبأ.

ب- اصطلاحا: قيل:

1) هو مرادف للحديث: أي أن معناها واحد اصطلاحا.
2) مغاير له: أي فالحديث: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والخبر: ما جاءه عن غيره.

4- الأثر:

أ- لغة: بقية الشيء.

ب- اصطلاحا: فيه قولان؛ هما:

1) هو مرادف للحديث: أي أن معناهما واحد اصطلاحا.
2) مغاير له: وهو ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوال أو أفعال.

5- الإسناد:

أ- لغةً: المعتمد، وسمي كذلك؛ لأن الحديث يستند إليه، ويعتمد عليه.

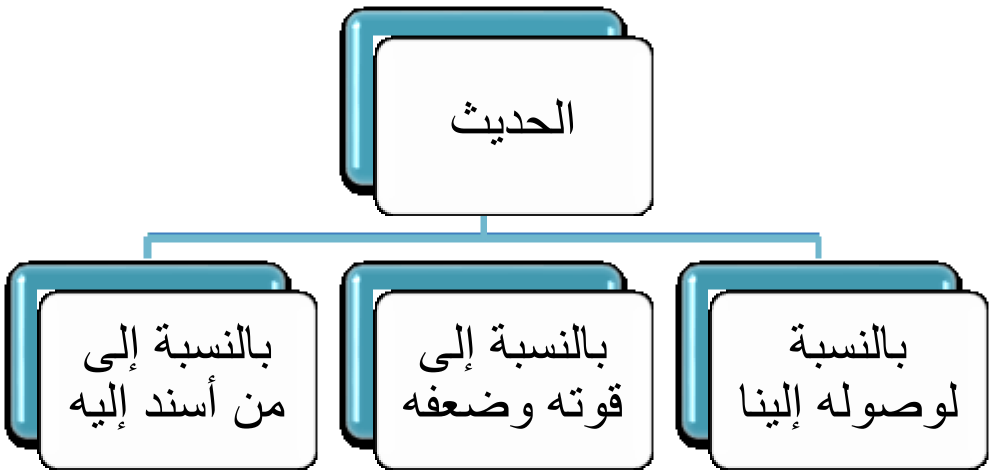
ب- اصطلاحًا: سلسلة الرجال الموصلة للمتن.

6- المتن:

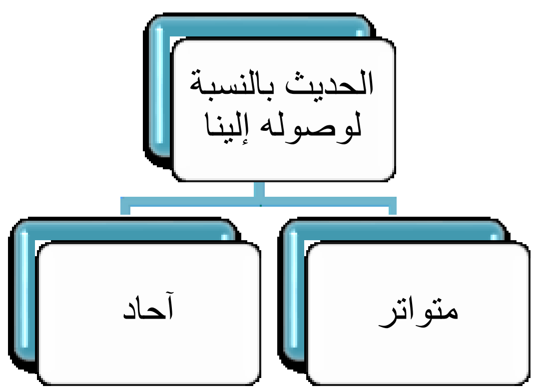
أ- لغةً: ما صلب وارتفع من الأرض.

ب- اصطلاحًا: ما ينتهي إليه السند من الكلام.

كيفية دراسة علم الحديث:



أولاً : تقسيم الحديث بالنسبة لوصوله إلينا:



المبحث الأول: الحديث المتواتر:

1- تعريفه:

أ- لغةً: التواتر،هو التتابع، تقول: تواتر المطر، أي تتابع نزوله.

ب- اصطلاحًا: ما رواه عدد كثير، تُحِيل العادة تواطُؤَهم على الكذب.

2- شرح التعريف:

ومعنى التعريف: أن المتواتر هو الحديث أو الخبر الذي يرويه في كل طبقة من طبقات سنده رواة كثيرون، يحكم العقل عادة باستحالة أن يكون أولئك الرواة قد اتفقوا على اختلاق هذا الخبر.

3- حُكْمُهُ:

المتواتر يفيد العلم الضروري، أي العلم اليقيني الذي يضطر الإنسان إلى التصديق به تصديقا جازما، كمن يشاهد الأمر بنفسه؛ فإنه لا يتردد في تصديقه، فكذلك الخبر المتواتر، لذلك كان المتواتر كله مقبولا، ولا حاجة إلى البحث عن أحوال رواته.

المبحث الثاني: حديث الآحاد:

1- تعريفه:

أ- لغةً: الآحاد: جمع أحد، بمعنى: الواحد، وخبر الواحد هو: ما يرويه شخص واحد.

ب- اصطلاحًا: هو ما لم يجمع شروط المتواتر.

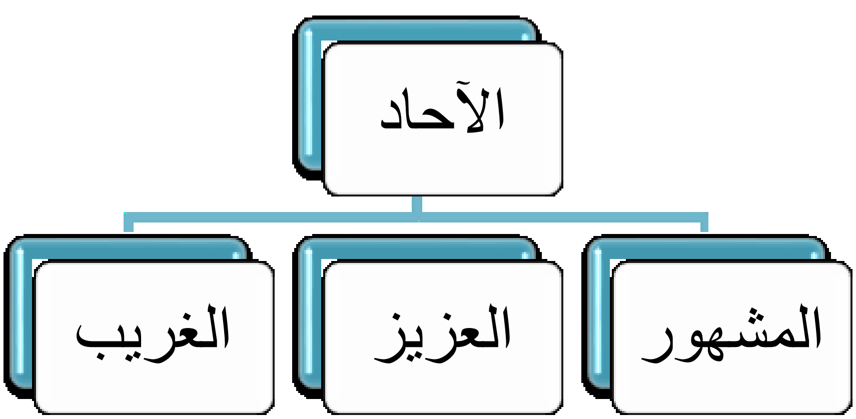
2- شرح التعريف:

ومعنى التعريف: أن حديث الآحاد هو الحديث الذي يرويه في كل طبقة من طبقات سنده رواةلا يبلغون حد التواتر، و بالتالي يتطرق إليه احتمال السهو و الخطأ، بل حتى الكذب.

3- حكمه:

يفيد العلم النظري؛ أي العلم المتوقف على النظر والاستدلال.

4- تقسيم حديث الآحاد:



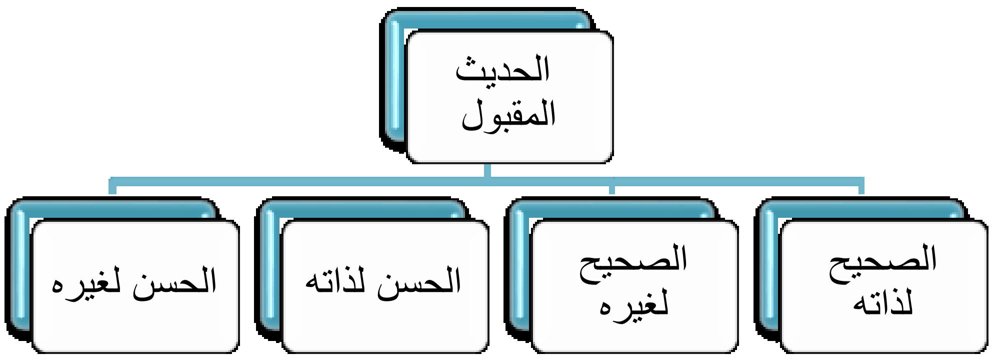
أ- المشهور: ما رواه ثلاثة فأكثر -في كل طبقة- ما يبلغ حد التواتر.

ب- العزيز:ما لا يقل رواته عن اثنين في جميع طبقات السند.

ت- الغريب: هو ما ينفرد بروايته راوٍ واحد.

ثانياً : تقسيم الحديث بالنسبة إلى قوته وضعفه:

القسم الأول الحديث المقبول:



الحديث الصحيح:

1- تعريفه:

أ- لغة: الصحيح: ضد السقيم. وهو حقيقة في الأجسام، مجاز في الحديث، وسائر المعاني.

ب- اصطلاحا: ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط، عن مثله إلى منتهاه، من غير شذوذ، ولا علة.

2- شرح التعريف:

اشتمل التعريف السابق على أمور يجب توافرها حتى يكون الحديث صحيحا، وهذه الأمور هي:

أ- اتصال السند: ومعناه أن كل راوٍ من رواته قد أخذه مباشرة عمن فوقه، من أول السند إلى منتهاه.

ب- عدالة الرواة: أي أن كل راوٍ من رواته اتصف بكونه مسلما، بالغا، عاقلا، غير فاسق، وغير مخروم المروءة.

ج- ضبط الرواة: أي أن كل راوٍ من رواته كان تام الضبط؛ إما ضبط صدر، وإما ضبط كتاب.

د- عدم الشذوذ: أي ألا يكون الحديث شاذا. والشذوذ: هو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه.

هـ- عدم العلة: أي ألا يكون الحديث معلولا، والعلة: سبب غامض خفي، يقدح في صحة الحديث، مع أن الظاهر السلامة منه.

3- حُكْمُهُ:

وجوب العمل به . فهو حجة من حجج الشرع. لا يسع المسلم ترك العمل به.

مسألة : ما هو أول مصنف في الصحيح المجرد؟

أول مصنف في الصحيح المجرد صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم. وهما أصح الكتب بعد القرآن، وقد أجمعت الأمة على تلقي كتابيهما بالقبول.

أ- أيهما أصح: البخاري أصحهما، وأكثرهما فوائد؛ وذلك لأن أحاديث البخاري أشد اتصالا، وأوثق رجالا، ولأن فيه من الاستنباطات الفقهية، والنكت الحكمية ما ليس في صحيح مسلم.

هذا وكون صحيح البخاري أصح من صحيح مسلم إنما هو باعتبار المجموع، وإلا فقد يوجد بعض الأحاديث في مسلم أقوى من بعض الأحاديث في البخاري.

ب- هل استوعبا الصحيح، أو التزماه؟ لم يستوعب البخاري ومسلم الصحيح في صحيحيهما، ولا التزماه. فقد قال البخاري: "ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول".

وقال مسلم: "ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا، إنما وضعت ما أجمعوا عليه".

مسألة: ما هي مراتب الصحيح ؟

1- ما اتفق عليه البخاري ومسلم "وهو أعلى المراتب."
2- ثم ما انفرد به البخاري.
3- ثم ما انفرد به مسلم.
4- ثم ما كان على شرطهما ولم يخرجاه.
5- ثم ما كان على شرط البخاري، ولم يُخَرِّجْه.

6- ثم ما كان على شرط مسلم، ولم يُخَرِّجْه.

7- ثم ما صح عند غيرهما من الأئمة، كابن خزيمة، وابن حبان مما لم يكن على شرطهما، أو على شرط واحد منهما.

مسألة: ما معنى شرط الشيخين؟

لم يفصح الشيخان عن شرطٍ شرطاه أو عيناه زيادةً على الشرط المتفق عليها في الصحيح، لكن الباحثين من العلماء ظهر لهم من التتبع والاستقراء لأساليبهما ما ظنه كل منهم أنه شرطهما، أو شرط واحد منهما.

وأحسن ما قيل في ذلك: أن المراد بشرط الشيخين أو أحدهما: أن يكون الحديث مرويا من طريق رجال الكتابين، أو أحدهما، مع مراعاة الكيفية التي التزمها الشيخان في الرواية عنهم.

مسألة: معنى قولهم: "متفق عليه"؟

إذا قال علماء الحديث عن حديث: "متفق عليه" فمرادهم اتفاق الشيخين، أي اتفاق الشيخين على صحته، لا اتفاق الأمة. إلا أن ابن الصلاح قال: "لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه؛ لاتفاق الأمة على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول".

الحديث الحسن:

1- تعريفه:

أ- لغةً: من "الحسن" بمعنى الجمال.

ب- اصطلاحًا: "هو ما اتصل سنده بنقل العدل عن مثله إلى منتهاه، مع وجود من خف ضبطه في السند،من غير شذوذ ولا علة".

2- حكم الحديث الحسن:

هو كالصحيح في الاحتجاج به، وإن كان دونه في القوة.

و بالتالي فائدة التقسم و معرفة الدرجة: إذا تعارض حديث صحيح مع حديث حسن، ففي هذه الحالة يقدم الحديث الحسن.

مسألة : ما معنى قولهم "حديث صحيح الإسناد" أو "حسن الإسناد" ؟

معناه أن المحدِّث قد تكفل بتوفر شروط ثلاثة من شروط الصحة، وهي: اتصال الإسناد، وعدالة الرواة وضبطهم، أما نفي الشذوذ، ونفي العلة عنه، فلم يتكفل بهما؛ لأنه لم يتثبت منهما.

و بالتالي هذه العبارة ليست تصريحاً بالصحة.

مسألة: معنى قول الترمذي وغيره: "حديث حسن صحيح"؟

ظاهر هذه العبارة مشكل؛ لأن الحسن يتقاصر عن درجة الصحيح، فكيف يجمع بينهما مع تفاوت مرتبتهما؟ ولقد أجاب العلماء عن مقصود الترمذي من هذه العبارة بأجوبة متعددة، أحسنها ما قاله الحافظ ابن حجر، وارتضاه السيوطي. وملخصه ما يلي:

أ- إن كان للحديث إسنادان فأكثر، فالمعنى: "أنه حسن باعتبار إسناد، صحيح باعتبار إسناد آخر."

ب- وإن كان له إسناد واحد، فالمعنى "أنه حسن عند قوم من المحدثين، صحيح عند قوم آخرين."

فكأن القائل يشير إلى الخلاف بين العلماء في الحكم على هذا الحديث، أو لم يترجح لديه الحكم بأحدهما.

الصحيح لغيره

1- تعريفه:

هو الحسن لذاته إذا روي من طريق آخر مثله أو أقوى منه1. وسمي صحيحا لغيره؛ لأن الصحة لم تأت من ذات السند الأول، وإنما جاءت من انضمام غيره له.

ويمكن تصوير ذلك بمعادلة رياضية على الشكل التالي:

حسن لذاته + حسن لذاته= صحيح لغيره

2- مرتبته:

هو أعلى مرتبة من الحسن لذاته، ودون الصحيح لذاته.

الحسن لغيره:

1- تعريفه:

هو الضعيف إذا تعددت طرقه، ولم يكن ضعفه شديداً.

ويمكن تصوير ارتقاء الحديث الضعيف إلى مرتبة "الحسن لغيره" بمعادلة رياضية على النحو التالي:

ضعيف + ضعيف= حسن لغيره

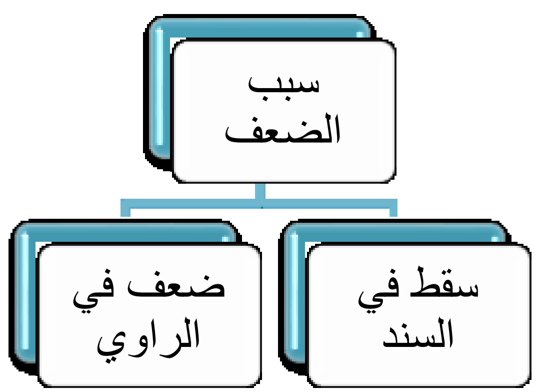
2- مرتبته:

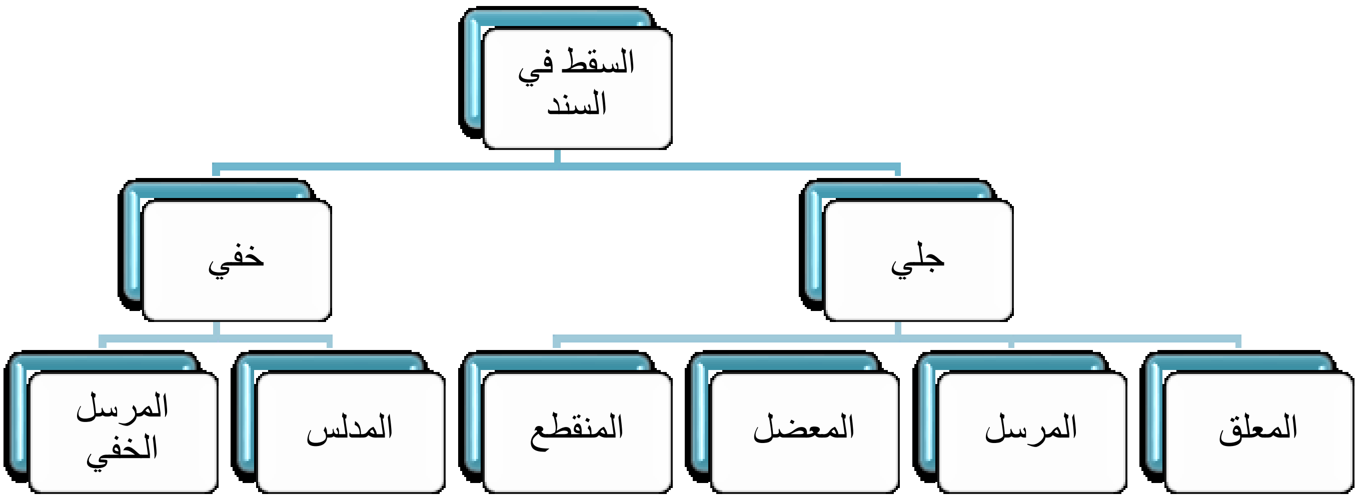
الحسن لغيره أدنى مرتبة من الحسن لذاته.

مسألة: ما معنى: الشواهد و المتابعات ؟

- الشواهد: هي أن يكون معنى الحديث موجوداً في حديث آخر.
- المتابعات: اشتراك راويان - أو أكثر – في الرواية عن نفس الشيخ.

القسم الثاني: الحديث المردود.





السقط في السند:

1- المعلق:

تعريفه: ما حذف من مبدأ إسناده راوٍ فأكثر على التوالي.

2- المرسل:

تعريفه: هو ما سقط من آخر إسناده مَنْ بعد التابعي[أو هو: قول التابعي: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم].

ويلاحظ: أننا لم نقل هو الذي سقط من إسناده الصحابي، لأن جهالة الصحابي لا تضر.

مرسَل الصحابي:

هو ما أخبر به الصحابي عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم أو فعله، ولم يسمعه أو يشاهده؛ إما لصغر سنه، أو تأخر إسلامه، أو غيابه، ومن هذا النوع أحاديث لصغار الصحابة؛ كابن عباس، وابن الزبير، وغيرهما.

حكم مرسَل الصحابي:

القول الصحيح المشهور الذي قطع به الجمهور أنه صحيح محتجٌّ به؛ لأن رواية الصحابة عن التابعين نادرة، وإذا رووا عنهم بينوها، فإذا لم يبينوا، وقالوا: قال رسول الله، فالأصل أنهم سمعوها من صحابي آخر، وحذف الصحابي لا يضر، كما تقدم.

3- المعضل:

تعريفه: ما سقط من إسناده اثنان فأكثر على التوالي.

4- المنقطع:

تعريفه: هو ما سقط من وسط إسناده راوٍ واحد أو أكثر بشرط عدم التوالي.

5- المدلَّس:

تعريف التدليس: إخفاء عيب في الإسناد، وتحسين لظاهره.

من أنواعه: تدليس الإسناد:و هو أن يروي الراوي عمن قد سمع منه ما لم يسمع منه، من غير أن يذكر أنه سمعه منه.

6- المرسَل الخفي:

تعريفه: أن يروي الراوي عمن لقيه، أو عاصره، ما لم يسمع منه، بلفظ يحتمل السماع وغيره كـ "قال".

الطعن في الراوي:

1- الموضوع:

تعريفه: هو الكذب، المختلق، المصنوع، المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- المنكَر:

تعريفه: هو ما رواه الضعيف مخالفا لما رواه الثقة.

3- المعلَّلُ:

تعريفه: هو الحديث الذي اطُّلِع فيه على علة تقدح في صحته، مع أن الظاهر السلامة منها.

4- المدرج:

تعريفه: ما غُيِّرَ سياق إسناده، أو أُدخِلَ في متنه ما ليس منه بلا فصل.

أنواعه: المدرَج قسمان: مدرَج الإسناد، ومدرَج المتن.

أ- مدرَج الإسناد :

من صوره: أن يسوق الراوي الإسناد، فيعرض له عارض، فيقول كلاما من قبل نفسه، فيظن بعض من سمعه أن ذلك الكلام هو متن ذلك الإسناد، فيرويه عنه كذلك فيتغير سياق الإسناد.

مثاله:

قصة ثابت بن موسى الزاهد في روايته: "من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار" وأصل القصة أن ثابت بن موسى، دخل على شريك بن عبد الله القاضي وهو يملي ويقول: "حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "، وسكت ليكتب المستملي، فلما نظر إلى

ثابت قال: "من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار"، وقصد بذلك ثابتا لزهده وورعه، فظن ثابت أنه متن ذلك الإسناد، فكان يحدث به كذلك.

ب- مُدرَج المتن:

مثال لوقوع الإدراج في وسط الحديث: حديث عائشة في بدء الوحي: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد" فقوله: "وهو التعبد" مدرَج من كلام الزهري.

5- المقلوب:

تعريفه: إبدال لفظ بآخر، في سند الحديث، أو متنه، بتقديم، أو تأخير، ونحوه.

أقسامه: ينقسم المقلوب إلى قسمين رئيسيين، هما:

مقلوب السند، ومقلوب المتن.

مثال مقلوب المتن: حديث أبي هريرة عند مسلم، في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. ففيه: "ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها؛ حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله": فهذا مما انقلب على بعض الرواة، وإنما هو: "حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه".

6- المصحَّف:

تعريفه: تغيير الكلمة في الحديث إلى غير ما رواها الثقات، لفظا أو معنى.

مثاله: حديث زيد بن ثابت "أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجر في المسجد ... " صحفه ابن لهيعة فقال: "احتجم في المسجد ... ".

حكم العمل بالحديث الضعيف:

اختلف العلماء في العمل بالحديث الضعيف، الذي عليه جمهور العلماء أنه يستحب العمل به في فضائل الأعمال، لكن بشروط ثلاثة :

أ- أن يكون الضعف غير شديد.

ب- أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به.

ث- ألا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط.

و الرأي الثاني:

أنه لا يعمل به مطلقاً, لا في الأحكام و لا الفضائل، و حجتهم في ذلك:

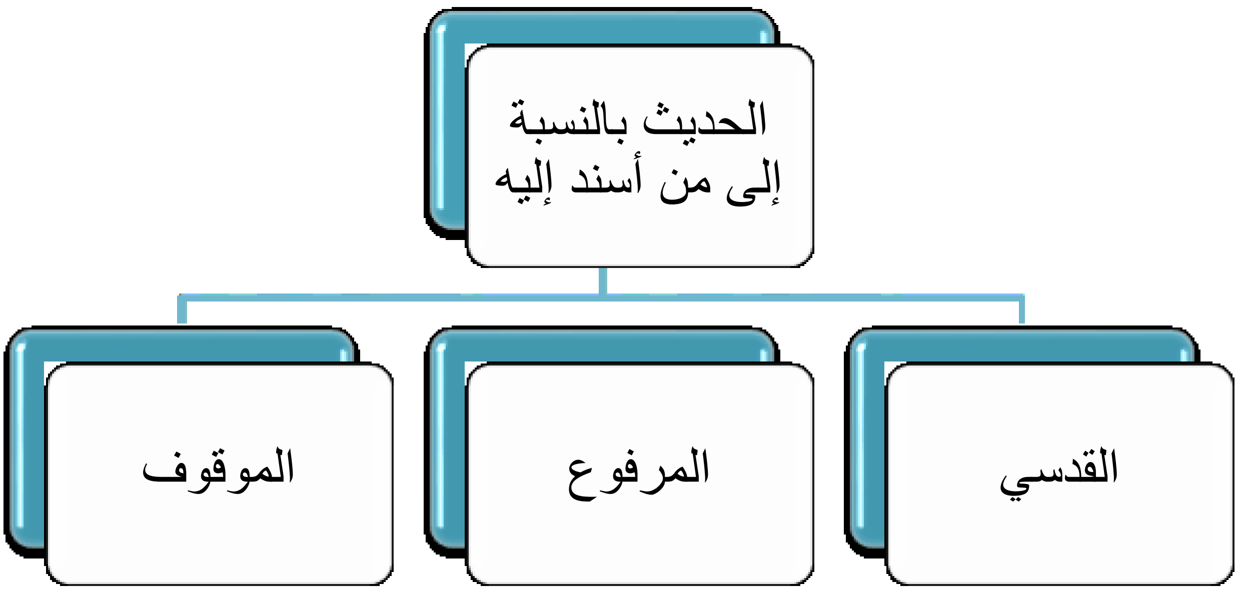
أ- أن شرط العمل بالحديث أن يكون مقبولاً ، و الحديث الضعيف لم يحقق هذا.

ب- أن الأحاديث الصحيحة فيها ما يغنينا عن الأحاديث الضعيفة.

و ممن يقول بهذا: الإمام البخاري، و الأمام مسلم، و شيخ الإسلام، و العلامة الشوكاني.

و من المعاصرين: الشيخ أحمد شاكر، و الشيخ الألباني رحمهما الله.

ثالثاً : تقسيم الحديث بالنسبة إلى من أسند إليه:



الحديث القدسي:

تعريفه: هو ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، مع إسناده إياه إلى ربه عز وجل.

الفرق بينه وبين القرآن:

هناك فروق كثيرة، أشهرها ما يلي:

أ- أن القرآن لفظه ومعناه من الله تعالى. والحديث القدسي معناه من الله، ولفظه من عند النبي صلى الله عليه وسلم.

ب- أن القرآن يتعبد بتلاوته. والحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته.

ج- أن القرآن يشترط في ثبوته التواتر. والحديث القدسي لا يشترط في ثبوته التواتر.

المرفوع:

تعريفه: هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة.

الموقوف:

تعريفه: هو ما أضيف إلى الصحابي من قول، أو فعل، أو تقرير.